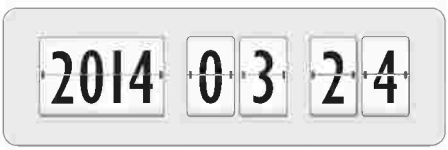

بدأت هيلاري تقول: في أثناء زيارة كانت أوائل حزيران/يونيو عام 2010م.

ما إن نطقتْ بعبارة حزيران/يونيو عام 2010م، حتى وجدتُني مشغولة كليًّا بسؤال: كيف تذكرتْ هذه التواريخ والمواعيد كلها؟ ورأيت أن من الأفضل أن أستوضح كي أتمكن من تركيز انتباهي عليها من جديد.

قلتُ: آسفة لمقاطعتك يا هيلاري، غير أنني كنت أتساءل عن كيفية تذكرك لتلك التواريخ كلها.

ردت وهي تبتسم: الجميع يسألون عن ذلك دائمًا؛ قبل كل شيء، متمتعة أنا بذاكرة ممتازة، أحيانًا يفاجأ الناس حين أتذكر أسماءهم وأسماء أولادهم، كذلك أبذل جهدًا لأتذكر الأشياء، أنا إنسانة مرتبة، ومنظمة، ويساعدني بقاء الأمور في ذهني حين أكون مطلعة على تواريخ حدوثها، ولا بد لي من الاعتراف بأنني أقوم (حين أكون على علم بما أنا راغبة في الكلام عنه معك في جلسة معينة) بتدقيق الموعد سلفًا كي تظني أنني ذكية. (قالت مع ابتسامة). غير أنك أنت أيضًا تتذكرين كل تفصيل دقيق يا دكتورة، كثيرًا ما تقتبسين أشياء

قلتها سابقًا، أن فلانًا قال كذا، حتى بعد أشهر. تخميني أننا نتذكر ما يكون مهمًّا بنظرنا.

تذكرت كتاب الإصغاء بالأذن الثالثة لتيودور رايك. وافقت على استنتاج هيلاري الأخير، وكنت من جديد قادرة على الإصغاء إليها بآذاني الثلاث كلها.

استأنفت من النقطة التي توقفت عندها لتقول: في أثناء زيارة كانت أوائل حزيران/يونيو عام 2010م لكل من كولومبيا، والإكوادور، وبيرو، تعين علي أن أعالج جملة قضايا في كل محطة حول قانون أريزونا المثير للكثير من الخلافات حول الهجرة، ذلك القانون الذي كان قد أجهز على صورة الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية؛ قانون دعم تطبيق القانون وعلاقات حسن الجوار السلمية (المستحدث بوصفه مشروع قانون لمجلس شيوخ أريزونا برقم 1070) كان نصًّا تشريعيًّا عائدًا لمجلس شيوخ أريزونا، نصًّا شكل التدبير الأوسع والأقسى ضد الهجرة غير الشرعية في تاريخ الولايات المتحدة الحديث.

نص مشروع القانون على أن قانون الولايات المتحدة الاتحادي يلزم الأجانب جميعهم الذين هم فوق سن الأربع عشرة، والذين يبقون في الولايات المتحدة مدة تزيد على ثلاثين يومًا بتسجيل أنفسهم لدى الحكومة، ومخالفة هذا القانون– أي إذا وُجد أجنبي في أريزونا غير متوفر على الوثائق المطلوبة– ستعد مخالفة محلية على صعيد الولاية من ناحية ومخالفة اتحادية على الصعيد القومي من ناحية ثانية، وقضى النص أن يتولى ضباط تطبيق القانون مهمة توصيف وضع الفرد المهاجر إبان (اعتقال، أو توقيف، أو احتجاز قانوني)، لدى توافر ما يدعو إلى الشك بأن ذلك الفرد المهاجر غير شرعي.

منتقدو القانون قالوا إنه تشجيع للنزعات العنصرية، في حين قال مناصروه إنه وضع حدًّا لتوظيف الانتماء العنصري أساسًا وحيدًا لتقصي وضع هذا المهاجر أو ذاك. جرت مظاهرات احتجاج ضد القانون في أكثر من سبعين

مدينة أمريكية، غير أن استطلاعات الرأي برهنت على تمتع القانون بقدر واسع من التأييد الشعبي.

في الثلاثين من نيسان/أبريل عام 2010م (نظرت إلي وابتسمت حول تذكرها للتاريخ على ما يبدو) مجلس أريزونا التشريعي أقر المشروع الذي عدل القانون الموقع قبل أسبوع، ووقعه حاكم الولاية بريور، مع النص المعدل الذي تضمن أن «محامي الادعاء العام لن يحققوا في شكاوى مستندة إلى أي أساس قائم على العنصر، أو اللون، أو الجنسية».

كذلك تضمن النص الجديد أن الشرطة لا تستطيع التحقيق في وضع المهاجر إلا في حالة (اعتقال، أو توقيف، أو احتجاز قانوني). في الولايات المتحدة توزع معارضو القانون ومؤيدوه على الحزبين على نحو تقريبي؛ إذ كان معظم الديمقراطيين ضد المشروع وجل الجمهوريين معه، لكِ أن تقدري الصيغة التي أيدتها.

ردًّا على سؤال من مراسلي التلفاز في كويتو، قلت إن الرئيس أوباما كان ضد القانون، وإن وزارة العدل- بتوجيه منه- خططت لإطلاق دعوى ضد القانون، كان هذا البيان العلني الأول عن اعتزام وزارة العدل التحرك ضد القانون، وبعد شهر واحد أصبحت القضية رسمية تحت عنوان الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة أريزونا.

في آب/أغسطس 2010م، أدخلتُ ذلك النزاع حول القانون في تقرير موجه إلى مكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان، موردة إياه بوصفه أنموذجًا يمكن للبلدان الأخرى أن تعتمده لحل مشكلات صعبة في ظل القانون.

في تموز/يوليو 2010م، زرت الباكستان للمرة الثانية وأنا وزيرة، مصطحبة حزمة كبيرة من المعونات الاقتصادية الأمريكية جنبًا إلى جنب مع اتفاقية تجارية ثنائية بين باكستان وأفغانستان بقيادة أمريكية. (ضحكتْ وهي تقول):

تلك كانت المرة التي وثقت فيها من أكون ضيفة جديرة بالترحيب، وفي أثناء وجودي هناك كانت لي محادثة ممتعة مع محافظ البنجاب؛ سلمان تيسير المولع بالمزاح. قال: «يطيب لي أيتها السيدة كلنتون، أن تعلمي أنني درجت على رمي مبنى السفارة الأمريكية في ساحة غروسفينور بالحجارة، حين كنت في لندن – التي كنت أنوي السفر إليها –». أجبته من دون إضاعة لحظة السخرية المناسبة: «لا حاجة إلى القلق حول الأمر، يا سيادة المحافظ. أنا فعلت الشيء نفسه».

وكانت نوبة ضحك هستيرية تملكتنا كلتينا.